جهود أبي حيان التوحيدي في البحث الصوتي

الأستاذ الدكتور
محمد عبد الزهرة غافل الشريفي
الباحث
مهند بيع ناجي
جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

جهود أبي حيان التوحيدي في البحث الصوتي

الأستاذ الدكتور
محمد عبد الزهرة غافل الشريفي
الباحث
مهند بيع ناجي
جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

المقدمة :

لقد كان العلماء القدماء على وعي تام، ودراية عالية بعلم الأصوات فإنَّنا نجد عن طريق النظر في مصنفاتهم المختلفة إشارات، وتلميحات يمكن أنْ تدرك هنا، وتمسك هناك تدل دلالة جلية على إدراكهم لأهمية الأصوات اللغوية، ودلالتها في الكلام، ومن بين هؤلاء العلماء أبي حيان التوحيدي الذي كشفت لنا بعض أثاره عن معرفته بالصوت اللغوي، فقد تحدث عن الصوت اللغوي، وأهميته، وتكوّنه، وانتقاله، وعرض إلى تشبيه الفم بآلة المزمار، وبيان اختلاف الأصوات بحسب مواضعها التي تصدر منها، وانتقل أيضا في موطن آخر إلى الحديث عن أصوات العربية، وبيان عددها، وبناءً على ذلك سيكشف لنا هذا البحث عن تلك الجهود الصوتية التي أوردها التوحيدي في مواضع مختلفة من آثاره.

الصوت اللغوي:

عرفه الجاحظ بقوله: ((هو آله اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف،

ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاما موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلمات إلا بالتقطيع والتأليف))[1].

أما الصوت اللغوي عند المحدثين، فقد حده الدكتور خليل إبراهيم بأنَّه: ((الأثر السمعي الذي يصدر طواعية عن تلك الأعضاء التي يطلق عليها اسم (جهاز النطق)))[٢] ، وعرّفه الدكتور تمام حسان بأنَّه: ((عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي، وتصحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت، وهو الجهاز النطقي، ومركز استقباله وهو الأذن))[3]، في حين ذهب الدكتور عبد الرحمن أيوب إلى القول بأنَّه: ((طاقة، أو نشاط خارجي تقوم به أجساد مادية، ويؤثر في الأذن تأثيراً يحدث السماع))[4].

لقد أولى علماء العربية دراسة الأصوات اللغوية، وتحليلها، وتقسيمها، وبيان صفاتها، وخصائصها، وبيان مخارجها عناية كبيرة، فجاءت المادة الصوتية مبثوثة في مؤلفاتهم، وفي مقدمة هؤلاء العلماء الخليل بن احمد الذي وضع أول معجم شامل لألفاظ اللغة العربية المستعمل منها وغير المستعمل سماه(العين) بث فيه آراءه الصوتية في مخارج الأصوات، وصفاتها، وعلى الرغم من أنَّ كتابه هذا يعد أول معجم في العربية ينماز بالتفرد، فقد أرسى فيه أسس علم الأصوات عند العرب من خلال مقدمته التي ضمت معلومات صوتيه ذات قيمة علمية وتاريخية تتعلق بتحليل الأصوات العربية، ودراستها دراسة عربية خالصة لم يسبقه اليها احد من العرب أو غير العرب، فهو صاحب أول دراسة صوتية تنم عن عقلية فذة متفتحة على ثقافات عصره وقد عرفت على يديه أول المصطلحات الصوتية حين حدد مخارج الأصوات وصفاتها فكان جهده وافرا في الدراسة الصوتية مما حدا بالعلماء إلى تقفي أثره، ومتابعته في طريقته، والسير على هدي[5]، فجاء بعده من علماء العربية تلميذه سيبويه، فقد استلهم أفكار الخليل وصاغها بشكل يتسم بالشمول، والدقة، فكان دقيقا" في تحليلاته، وتقسيماته لصفات الأصوات، ومخارجها فضلا" عن الظواهر الصوتية التي درسها دراسة واعية تنم عن إدراك عميق لأسباب تلك الظواهر، وأبعادها الصوتية[6]، ثم جاء بعده المبرد الذي تطرق

إلى دراسة الأصوات في كتابه (المقتضب) في باب مخارج الحروف[7]، ثم أخذت دراسة الأصوات بالتطور عند ابن السراج (ت٣١٦هـ) في كتابه (الأصول في النحو)، ودرسها في باب الإدغام[8]، ثم ابن دريد (ت٣٢١هـ)، ودرسها في مقدمة (جمهرة اللغة)[9] ، والزجاجي (ت٣٣٧هـ) درسها في باب الإدغام في كتابه (الجمل) [10]، والأزهري (ت٣٧٠هـ) في مقدمة تهذيب اللغة[11]، وصولا إلى ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب)[12]، وغيرهم من العلماء الذين اخذوا بدراسة الأصوات اللغوية.

وقد كان التوحيدي من بين العلماء الذين اهتموا بدراسة الأصوات وأولوها بعض عنايتهم، فقد أسهم فيها إسهاما واضحا، وذلك عندما حاور مسكويه(ت٤٢١ه) -الذي كان عارفا بعلوم الأوائل- في بعض الجوانب التي تتعلق بدراسة الأصوات، ودوّن ما تلقاه عنه في كتاب (الهوامل والشوامل)، وقد دار الحوار بينهما حول طبيعة الصوت اللغوي وطريقة تكوينه، وحول مخارج الحروف وعددها في العربية، وغير ذلك مما سوف أبيّنه مفصلا.

تكوّن الصوت اللغوي:

لقد تحدث التوحيدي عن طريقة إنتاج الصوت اللغوي، وتكوينه نقلا عن مسكويه بقوله: ((إن الصوت إنما يتم بآلة هي الرئة وقصبتها؛ لأنها مستطرق الهواء))[13]، ويقول في كتاب (المقابسات) ذاكرا طريقة تكوين الصوت :هو أنْ ((يجذب الإنسان الهواء بالحركة الطبيعية وحصره في قصبة الرئة ودفعه ومصاكته بالحركة الإرادية للهواء الخارج بحروف تجذبها آلة اللهوات))[14]، فالرئة، وقصبتها هما المصدر الرئيس لإنتاج الأصوات عن طريق دفع الهواء إلى الخارج

ثم يأخذ التوحيدي بالحديث عن ماهية الصوت اللغوي إذ يقول: ((والصوت إنما هو اقتراع في الهواء، ولما لم يكن للهواء طريق في الإنسان إلا

من الرئة وقصبتها، والمدخل إليها من الفم، ولا مخرج له إلا من هذه الجهة - جعل الاقتراع - الذي هو الصوت - في هذه المسافة حسب))[15]، ثم يقرر اختلاف مواضع الأصوات بحسب موقعها بين الرئة، والشفة بقوله: ((فبعض الأصوات أقرب إلى الرئة، وابعد من الشفة، وبعضها أقرب إلى الشفة، وابعد من الرئة، والوسائط بين هذين الموضعين كثيرة))[16].

تشبيه الفم بآلة المزمار:

ثم ينتقل التوحيدي إلى تشبيه الفم بآلة المزمار موضحا فيها طريقة تقطيع هواء الزفير داخل الفم وإنتاج الأصوات إذ يقول: ((ومثال ذلك مثل مزمار فيه ثقب متى أطلق الإنسان فيه النفس وخرق موضعاً بإصبع إصبع اختلفت الأصوات في السمع بحسب قربه وبعده. ولا يكون المسموع من الاقتراع الذي يحدث عند الثقب الأخير المسموع من الاقتراع الذي يحدث عند الثقب الأول. وكذلك سائر الاقتراعات التي بين هذين الثقبين مختلفة المواقع من السمع، لا يشبه واحد الآخر، فيقال لبعضها: حاد، ولبعضها: حلو، ولبعضها: جهير، ولبعضها: لين. وكل واحد من هذه الأصوات له أثر في النفس وموقع منها، ومشاكلة لها))[17]، فكل موضع في الفم يصدر صوت يختلف عن الأخر كما هو الحال في آلة المزمار ومثل هذا التشبيه نجده عند ابن جني في كتابه (سر صناعة الإعراب)، فقد شبه الفم بآلة الناي وذلك في معرض حديثه عن اختلاف أجراس الأصوات وقد عده اغلب الباحثين بأنَّه شيئا جديدا في الدراسة الصوتية[18]، إذ يقول: ((ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي فإنَّ الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين عمله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها

صوت لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة))[19]، ونجده يشبه الفم بالعود ايضاً إذ يقول: ((ونظير ذلك أيضا وتر العود، فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل، سمعت له صوتا فإنْ حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه، أدى صوتا آخر فإنْ أدناها قليلا سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر، تشكلت لك أصداء مختلفة إلا أنَّ الصوت الذي يؤديه الوتر غفلا غير محصور، تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهتزا، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر، وصلابته، وضعفه، ورخاوته، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا، وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب، وإنْ لم يكن هذا الفن مما لنا، ولا لهذا الكتاب به تعلق، ولكن هذا القبيل من هذا العلم أعني علم الأصوات، والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات، والنغم))[20].

فنحن نلاحظ من خلال النص الوارد في كتاب (الهوامل والشوامل)، وهو تشبيه الفم بآلة المزمار، وما ذكره ابن جني من تشبيه الفم بآلة الناي والعود أنَّ هناك توافقا كبيرا في الأفكار وهو الأمر الذي دفع بالدكتور نعمة العزاوي إلى القول: بأنَّ ((كتاب (الهوامل والشوامل) مصدر من مصادر ابن جني فيما أورده من تشبيه الفم بآلة الناي))[21]، وهذا أمر ليس مستبعدا، فقد كان ابن جني معاصرا للتوحيدي، ومما لا شك فيه أنَّ ابن جني كان مطلعا على آثاره، وكيف لا، وأبو حيان يعد من كبار العلماء في عصره، ومن ثَّم قد يكون ابن جني متأثرا به في مجال علم الصوت، وتحديدا في تشبيه الفم بآلة

الناي، ومما يعضد هذا أنَّ ابن جني عندما ذكر هذا التشبيه فانَّه لم ينسبه إلى نفسه، وإنما نسبه إلى بعضهم بقوله: ((شبه بعضهم الحلق، والفم بالناي))[22]، وهذا التشبيه نجده عند التوحيدي.

مخارج الأصوات:

اعتاد علماء العربية القدماء تناول مخارج الأصوات، وصفاتها، وعددها، وبيان مواضعها، وغير ذلك مما يتعلق بها، وكان اغلب ما ذكروه في هذا المجال صحيحا[23]، أما التوحيدي، فلم يتابعهم فيما ذهبوا اليه إذ إنَّه لم يتطرق إلى دراسة مخارج الأصوات، وصفاتها، وما إلى ذلك، وإنما اكتفى بالإشارة إلى أنَّ كل حرف من حروف اللغة يكون له مطلع يختلف عن مطلع الأخر، محددا هذه المطالع من أقصى الرئة إلى أدنى الفم، موافقا بذلك الخليل إذ يقول: ((إنَّ الحروف الثمانية والعشرين يطلع كل واحد منها من مطلع غير مطلع الآخر، وذلك من أقصى الرئة إلى أدنى الفم، على ما قسمه أصحاب اللغة، وبيَّنه الخليل، وغيره، وعلى خلاف بينهم في مخارجها، ومواضعها))[24].

عدد الحروف:

لقد ذهب معظم علماء اللغة إلى القول بأنَّ أصل حروف اللغة العربية تسعة وعشرون حرفاً[25]، في حين نجد أنَّ التوحيدي يخالفهم في هذا، فقد تبنى الرأي القائل إنَّ حروف اللغة العربية هي ثمانية وعشرون حرفا، ويتضح ذلك من خلال ما نقله عن مسكويه إذ يقول في معرض حديثه عن الأصوات: ((وقد بلغت عدة هذه الأصوات المفردة المقطعة بهذه الحركات المسماة حروفاً - ثمانية وعشرين حرفاً في اللغة العربية))[26]، ويقول في موضع آخر من كتاب (الهوامل والشوامل): ((الاسم مركب من الحروف، والحروف عددها ثمانية وعشرون، وتركيبه يكون ثنائياً وثلاثياً ورباعياً

وخماسياً))[27]، ويقول نقلا عن مسكويه أيضا: ((إنَّ الحروف الثمانية والعشرين يطلع كل واحد منها من مطلع غير مطلع الآخر))[28]، وهو بهذا يتفق مع المبرد الذي ذكر بأنَّ حروف اللغة هي ثمانية وعشرون حرفا بقوله: ((اعلم أنَّ حروف العربية خمسة وثلاثون حرفا منها ثمانية وعشرون لها صور))[29]، وغيره من العلماء الذين ذهبوا إلى هذا الرأي.

وكان أبو حيان التوحيدي قد حاور مسكويه في ((منحى آخر من مناحي الدرس الصوتي هو اقرب إلى النقد اللغوي، أو البحث في أسرار اللغة ودقائقها الفنية منه إلى الدرس اللغوي العام))[30]، فقد حادث التوحيدي مسكويه عن سبب استيحاش النفس من بعض الأسماء دون البعض الآخر فبعض الأصوات تكون مألوفة ومحببة تحمل النفس على الطرب في حين هناك أسماء تكون خشنه مؤذية ثقيلة على النفس والطبع إذ يقول: ((لمَ صار اسم من الأسماء أخف عند السماع من اسم حتى إنك لتجد الطرب يعترى سامع ذاك؟

أنا رأيت بعض من كان يهوى البحتري، ويخف لحديثه، ويتعصب لقريضه يقول: ما أحسن تشبيب البحتري بعلوة، وما أحسن اختياره علوة، ولا يجد هذا في سلمي وهند وفرتنا ودعد.

وهذا عارض موجود في الأسماء والكنى والشمائل والحلى، والصور والسبني، والأخلاق والخلق، والبلدان والأزمان، والمذاهب والمقالات، والطرائق والعادات.

وإذا بحثت عن هذا الباب فصله بالبحث عما ثقل على النفس والسمع والطبع من هذه الأشياء، فإنه إنْ كان قبولها لعلة فمجها لعلة، وإنْ كان وصالها لسبب، فصدودها لسبب))[31].

وقد ارجع مسكويه علة ذلك إلى أسباب نفسية، فلكل نفس طبيعتها في قبول بعض الأصوات دون بعض، وذكر أيضا أنَّ قصبة الرئة لما كانت شبيهة بقصبة المزمار، فمن

الطبيعي أنَّ تختلف الأصوات التي تصدر عن قصبة الرئة مثل اختلاف الأصوات التي يصدرها المزمار، فليس كل الألحان والنغم التي ينتجها المزمار تكون مقبولة عند النفس، فكذلك هو حال الأصوات إذ يقول: ((فلما كانت قصبة الرئة كقصبة المزمار، وتقطيع الحروف فيها كخرق الصوت بالمزمار في موضع بعد موضع، وكانت الأصوات في المزمار مختلفة القبول عند النفس -، كانت الحروف كذلك أيضاً لا فرق بينها وبينها بوجه ولا سبب))[32]، فالحروف لكل منها خاصيته، وأثره في النفس إذ يقول: ((فقد بان أنَّ الحروف أنفسها مفردة لها مواقع من النفس مختلفة، فبعضها أوقع عندها من بعض))[33].

ثم ينقل التوحيدي عن مسكويه حديثه عن تأليف هذه الحروف وجعلها في كلمات منتظمة ذلك أنَّ في تركيب الحروف، وتأليفها، وتنسيقها أهمية كبيرة تقع على عاتق مؤلف هذه الحروف لكي يكون للكلام وقع مؤثر في النفس، فعمله يكون شبيها بنظم الخرز، أو نظم الأصوات في الموسيقى إذ يقول: ((وإذا كانت بهذه الصفة – أي الحروف- وهي مفردات وبسائط، كان تركيبها أيضاً مختلفاً في قبول النفس، سوى أنَّ للتركيب، والتأليف تعلقاً بالصناعة كما ضربنا به المثل في نظم الخرز ونظم الأصوات في الموسيقى؛ لأنَّ الموسيقار ليس يعمل أكثر من تأليف هذه الأصوات بعضها إلى بعض على النسب الموافقة للنفس.

فمؤلف الحروف يجب أنْ يؤلّفها أيضاً، ويمزجها مزجاً موافقاً من الثنائي والثلاثي، وغيرهما، إذا أحب أن يكون لها قبول من النفس))[34].

ثم يقرر أنَّ اختلاف هذه الحروف في أثرها مفردة ومركبة يؤدي بالنتيجة إلى أنْ تكون بعض الأسماء أعذب من بعض، فيقول: ((فقد تبين إلى هذا الموضع سبب خلاف هذه الحروف مفردة، ثم مركبة، وأنه بحسب هذا البيان يجب أنْ يكون بعض الأسماء أحسن من بعض، وأعذب في السمع، وأقرب إلى قبول النفس، وبعضها أبعد في هذه الأشياء))[35].

ثم يعود للحديث مرة أخرى عن النظم، فبعد أنْ تحدث عن نظم الحروف في مفردات، يعود للإشارة إلى نظم المفردات بعضها إلى بعض في السياق، وضرورة وضع كل مفردة في موضعها كي لا تكون مستكرهه، مبتذلة، غير مقبولة إذ يقول: ((وبقي نظم الكلم بعضه إلى بعض، ووضعه في خواص مواضعه؛ ليصدق المثال الذي ضربناه في الخرز والعقود، ثم وضع كل عقد حيث يليق به.

وههنا تظهر صناعة الخطابة والبلاغة والشعر، وذلك أنَّه إذا اختار المختار الحروف المؤلفة بالأسماء حتى لا يكون فيها مستكره ولا مستنكر، ووضعها من النظم في مواضعها، ثم نظمها نظماً آخر - أعني وضع الكلمة إلى جنب الكلمة - موافقاً للمعنى غير قلق في المكان، ولا نافر عن السمع - فقد استتمت له الصناعة إما شعراً، وإما خطبة، وإما غيرهما من أقسام الكلام.

ومتى دخل عليه الخلل في أحد هذه المواضع الثلاثة اختلت صناعته، وأبت النفس قبول ما نظمه من الكلام بحسب ذلك))[36].

ويظهر هذا النص، والذي قبله عن نظرية النظم التي نضجت، وتطورت على يد عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧٤ه)، وهذا أمر لا يمكن إغفاله من قبل مؤرخي هذه النظرية فقد أظهر

النص السابق ما للَّفظة من قيمة، وجمالية في حال إفرادها، وهذا أمر لا يقره عبد القاهر الجرجاني الذي عمد إلى تجريد المفردة من كل قيمة، وذكر بأنَّ المفردة تكتسب قيمتها من السياق مع ما يجاورها من كلمات[37]، ومن هنا يمكن القول بأنَّ ما ذكره التوحيدي في كتاب (الهوامل والشوامل) يمكن أنْ يعد الأساس الذي انطلقت منه نظرية النظم.

عيوب النطق:

هي: ((حالات تصيب الإنسان في طفولته، ومراحل سنيه الأخرى تعيق استخدامه الكلام بالشكل السليم، أو تمنعه عن النطق جزئيا، أو كليا))[38].

وقد اهتم علماء العربية بعيوب النطق، وتعددت عندهم أسماؤها، ووصفوا الكثير من حالاتها، تاركين صفحات غنية بالملاحظات النافعة، وذلك لعنايتهم بحسن البيان والإيضاح، ومناحي الفصاحة والسلامة في الكلام[39].

ولعل الجاحظ يعد من أوائل علماء العرب الذين أولوا سلامة النطق العناية الفائقة ، لما لها من صلة وطيدة بنظريته في (البيان) ، فلا غرو أنْ نلقاه يعالج الحالات التي شذت فيها فصاحة النطق بالأصوات من صحة مخارجها، وما أصاب اللفظ معها من تحريف أو تشويه ، مستعيناً بالأمثلة الموضحة، فقد وصف اللثغة في باب (ذكر الحروف التي تدخل اللثغة)، وضرب لها أمثلة كثيرة منها قوله: ((فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاءً كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكثوم، وكما يقولون بثرة وبثم الله إذا أرادوا بسرة وبسم الله))[40]، وكان أبو العباس المبرد قد أفاد مما أورده الجاحظ في مجال عيوب النطق، فذكر جملة من أسمائها إلى جانب إيراده ، جملة من أمثلتها الواردة على ألسنة العرب ساعيا في ذلك إلى إيضاحها، وبيان المقصود منها[41]، وقد كان للمعجميين العرب عناية بعيوب النطق توزعت في طيات معجماتهم[42]، فكان ابن سيده (ت٤٥٨هـ) قد ذكر أبوابا تناول فيها بعض عيوب النطق منها، باب الفصاحة ، وخفة الكلام وسرعته ، وثقل اللسان، واللحن وقلة البيان وكثرة الكلام والخطأ فيه ، والاختلاط في الكلام وضخم الصوت وصفاؤه إلى غير ذلك[43].

أما فيما يخص التوحيدي فقد كان له موقف واضح من عيوب النطق، والخطأ في الكلام بصورة عامة، فكان غالبا ما يشير إلى الخطأ، وينبه عليه سواء أكان ذلك صادرا عن الخاصة أم العامة، فقد كان التوحيدي متقنا للغة العربية، وتصاريفها، واشتقاقها، فكان لا يرتضي الخطأ اللغوي ويعده عيبا على صاحبه؛ لذا نجده يتحدث عن طائفة من عيوب النطق، وعن اللحن

والخطأ، وغير ذلك ويمكن أنْ نصنف عيوب النطق التي ذكرها التوحيدي على صنفين:

١. عيوب النطق كونه وسيلة من وسائل التعبير والبيان بصورة عامة.
٢. عيوب النطق كونه آلة صوتية تعمل على إخراج الحروف من مخارجها بواسطة الحلق، والأسنان، والفم، واللسان.

وقد أورد التوحيدي جملة من العيوب التي تحدث في الكلام، والتي تعود للحالة النفسية التي عليها المتكلم، فذكر العي[44]، والحصر[45]، والهذر[46]، والخطل[47]، وتطرق أيضا إلى إيراد بعض العيوب التي تحدث بسبب تكلف بعض الطرائق والأساليب في نطق بعض الحروف، والتلفظ ببعض الكلمات فذكر التشدق، والتفيهق[48]، والتمطيط[49]، وبما أنَّ هذه العيوب هي مما يدرس في إطار موضوعات البحث البلاغي أو النقدي، فسوف اكتفي بذكر عيوب النطق التي تدخل في مجال البحث اللغوي ولاسيما البحث الصوتي الذي هو موضوع حديثنا.

ومن ثَّم فإنَّ الذي يهمنا هنا من عيوب النطق، هو العجز عن النطق المادي بلفظ الأصوات اللغوية، والكلمات التي تأتلف من هذه الألفاظ؛ لذا يمكن أنْ نُرجع ما ذكره التوحيدي من هذه العيوب إلى أمرين:

١. النقص في الجهاز الصوتي للغة
٢. أثر اللغات الأعجمية

أولا: نقص في الجهاز الصوتي للغة:

وهي العيوب التي تصيب عضوا أو أكثر من أعضاء النطق، وتحدث هذه العيوب نتيجة لإصابة الجهاز الصوتي للغة ببعض الحالات الخلقية، أو المرضية، والتي تؤدي إلى اختلاله، وقد أشار التوحيدي إلى جملة من هذه العيوب مثل: التمتمة، والفأفأة، والعقلة، والحُبسة، واللفف، والرتَّة، واللَّكنة، واللثغة[50]، والنغنغة[51]، وذكر اللوثة، والجعظرة[52]، وقد بَيّن التوحيدي

بعضا منها نقلا عن أهل اللغة وكما يلي:

١.التمتمة:

وهي من عيوب النطق التي تجعل من التاء ثقيلة على المتكلم، فيقال للرجل تمتام إذا كان كذلك[53]، وقد ذكر التوحيدي بأنها ترديد في التاء(54).

٢.الفأفأة:

هي: ((التشويه الذي يصيب لفظ (الفاء) والمصاب بذلك هو الفأفاء))(55)، أو يقصد بها الشخص ((الذي لا يقدر على إخراج الكلمة من لسانه إلّا بجهد يبتدئ في أول إخراجها بشبه الفاء ثم يؤدي بعد ذلك بالجهد حروف الكلمة على الصحة))[56]، وقد ذكر التوحيدي الفأفأة بقوله: هي ((الترديد في الفاء))[57].

٣. العقلة:

ذكر الجاحظ العقلة بقوله: ((ويقال: في لسانه عقلة إذا تعقل عليه الكلام))[58]، وعرفها المبرد بقوله: هي((التواء اللسان عند إرادة الكلام))[59]، وهو نفس التعريف الذي ذكره التوحيدي[60].

٤.الحبسة:

ذكرها الجاحظ مشيرا إلى أنّها أدنى مرتبة من الفأفاء، والتمتمة إذ يقول: ((ويقال: في لسانه حبسة إذا كان الكلام يثقل عليه، ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام))[61]، وأشار اليها التوحيدي بقوله: هي((تعذّر الكلام))[62]، والحُبسة أيضا ((ثقل في اللسان يمنع من الإبانة))[63].

٥.اللفف:

لقد استعملها الجاحظ، وقصد بها السرعة في الكلام التي تجعل منه غير مفهوم، وقد ذكر فيها بعض الأمثلة منها قوله: ((قال أبو عبيدة: إذا ادخل الرجل بعض كلامه في بعض، فهو ألفٌ، وقيل بلسانه لففٌ، وأنشدني لأبي الزحف الراجز[64]:

كـــأنَّ فـــيه لفـــفا إذا نـــطق مـــن طـــول تحبـــيس وهـــم وأرق

كأنَّه لما جلس وحده، ولم يكن له من يكلمه، وطال عليه ذلك أصابه لففٌ في لسانه))[65]، وقد عرّفها التوحيدي بقوله: ((اللفف: إدخال حرف على حرف))[66]، ثم يبين بأنها عجز يصيب اللسان إذ يقول: ((واللففُ: التواء في اللسان كالردة))[67].

٦.الرتّة:

ذكرها المبرد بقوله: ((والرتَّة كالريح تمنع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل))[68]،

أما ابن سيده، فذكر بأنها جعل اللام ياءً[69]، وقد أشار اليها التوحيدي بقوله: ((والرتَّة: كالرّتج يُمنع منه))[70]، أي هي كالباب المغلق الذي يمنع من دخوله.

٧.اللثغة:

هي من عيوب النطق التي تسبب عجزا في نطق بعض الحروف، وبيانها، فتستبدل بغيرها[71]، ويعود سبب اللثغة إلـــــى نقص في آلة النطق[72]، أما التوحيدي، فـقـد ذكرها بقوله:

((واللثغة:عدل حرف إلى حرف))[73].

٨.النغنغة:

ورد لفظ (النغنغة) في كتابات التوحيدي في مجال الألفاظ الخاصة بعيوب اللسان والكلام

، وقـد ذكـر صـاحب لسـان العـرب أنَّ النغنغـة هـي: ((غـدة تكـون في الحلق))[74]، وبهذا المعنى الخاص بالعيب العضوي الذي يصيب اللسان، فيعيقه عن الإفصاح والانطلاق في الكلام يقول أبو حيان ذاكرا لفظة النغنغة، وذلك في أثناء تعريفه للفصاحة: ((الفصاحة: خلوص اللسان من التعقيد، والنغنغة))[75].

٩. اللوثة والجعظرة:

وقد أشار التوحيدي إلى بعض عيوب النطق الأخرى التي تعيق الذين يهتمون بفن الخطابة والبلاغة وقد ذكر التوحيدي بأنَّ الذي يريد أنْ يتعلم خطابة البلغاء ويكون قادرا على مجاراة الحكماء ينبغي أنْ يترك بعض الأمور ويتجنبها؛ لأنَّه معها لا يمكن أنْ يبلغ مبتغاه إذ يقول: ((وينبغي أنْ تعلم أنَّ من أراد خطابة البلغاء على طريقة الأدباء، ومجاراة الحكماء على عادة الفضلاء، احتاج ضرورة إلى تقديم العناية بأصول هي الأساس، وحفظ فصول هي الأركان... ولن يتم ذلك حتى يجنبه غريب اللفظ ووحشيه، ومستكرهه وبدويه، ويزل عن ربوة ذي العنجهية وأصحاب اللوثة وأرباب الجعظرة، بعد أنْ يرتقي عن مساقط العامة في هجر كلامها ومرذول تأليفها))[76]، و(اللوثة): هي ((الاسترخاء والحبسة في اللسان))[77] ((ورجل ذو لُوثة بطيءٌ مُتَمَكِّث ذو ضعف))[78]، و(الجعظرة): هي ((سَعْيُ البَطِيْءِ من الرِّجَال القَرِيبِ الخَطْوِ))[79]، فكلاهما يدل على البطء والحبسة في الكلام.

ثانيا: أثر اللغات الأعجمية:

كان للغات الأجنبية أثر كبير على ألسنة المتكلمين باللغة العربية، فقد أدى دخول الأقوام غير العربية إلى الإسلام نشوء مجتمع جديد يختلف عن مجتمع ما قبل الإسلام، وبمخالطة العرب لهؤلاء الأقوام غير العربية ظهرت لديهم بعض العيوب في النطق، وقد أشار التوحيدي إلى بعض منها مثل اللكنة، واللحن، والعجمة.

١. اللكنة:

وهي من عيوب النطق التي تحدث بسبب تداخل الحروف الأعجمية في الحروف العربية

، وقد ذكرها الجاحظ قائلا: ((ويقال: في لسانه لكنة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج

الأول))[80]، ومن الأمثلة التي يذكرها الجاحظ في اللكنة استبدال بعض الحروف بحروف أخرى، فقد كان زياد الأعجم[81]من المشهورين، وكان فصيح الشعر إلّا أنَّه لم يكن ينطق السين والطاء، فإذا نطق (السلطان)، قال: (الشلتان)، فكان يجعل (السين) شينا، و(الطاء) تاء[82]، وكان المبرد قد عرَّف اللكنة بقوله: ((اللكنة: أنَّ تعترض على الكلام اللغة الأعجمية))[83]، أما التوحيدي، فقد ذكر بأنَّ اللكنة هي اللغة الأعجمية[84]، وقد تردد ذكر اللكنة كثيرا في كتاباته بمعنى العيب في نطق الكلام، والقصور في الإفصاح، وفي هذا الإطار يقول: ((ياهذا: اختلط الإفصاح باللكنة، والتبست الغباوة بالفطنة))[85]، ويقول أيضا: ((وجواب مثلك عن مسائلك إنما يكون بصدر لا حرج فيه، ولسان لا لُكنة به))[86]، ويذكر اللُكنة كذلك بمعنى العجمة في اللسان إذ يقول: ((وإنما فشا اللحن للسبايا التي كثرت في الإسلام من الأعاجم وأولادهن، فإنهم نزعوا في اللكنة إلى الأخوال))[87]، فهؤلاء هم الذين لا يقيمون العربية، ولا يجيدون نطقها لوجود عُجمة في ألسنتهم.

أما لفظة (ألكن) فتعني: الذي لا يقيم العربية لعجمة في لسانه[88]، وبهذا المعنى ذكر التوحيدي الألكن، فيقول: ((تسمع الحق بأذن محاجة، وتعيه بقلب متحزق، وتتدبره بعقل سادر، وتقرأه بلسان ألكن))[89]، وبهذا المعنى يقول أيضا: ((فإذا أنصفت، فأنا الألكن المهذار، والمتوهم العي))[90].

أما ألكن، فتُجمع على (لُكْن)، وقد ذكرها أبو حيان بقوله: ((ألا ترى أنَّه لا سبيل إلى أنْ يكون الناس كلهم طوال القدود أو قصارها، أو ضخام الرؤوس أو صغارها، وفصحاء الألسن أو لُكنها))[91]، وسواء أكانت لفظة (اللكنة) قد وردت في آثار أبي حيان مفردا، أو جمعا، أو مذكرا أو مؤنثا، فإنها دلت على معنىً واحد وهو العيب الذي يحدث في الكلام بسبب مخالطة الأعاجم.

٢.اللحن:

هو: ((مخالفة العربية الفصحى في الأصوات، أو في الصيغ، أو في

تـركيب الجملـــــة،
وحركات الإعراب، أو في دلالة الألفاظ))[92]، أما التوحيدي فلم يذكر تعريفا صريحا للّحن وإنما يمكن أنْ يستشف من كلامه الذي يذكر فيه لفظ (اللحن)، فقد استعمل لفظ اللحن بمعنى الغناء، ووضع له تعريفا، وأورد لفظ اللحن أيضا للدلالة على الخطأ في الكلام، ومن ذلك يقول: ((والخطأ في النحو يسمى لحنا))[93].

وتطلق كلمة اللحن في العربية على عدة معان، وقد جمعها ابن بري(ت٥٨٢ه) في قوله: ((للّحن ستة معان: الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفطنة، والتعريض، والمعنى))[94]،

واللحن في الكلام لم يكن طارئا في العصر الإسلامي، وإنما كان معروفا عند العرب وربما تعود جذوره إلى عصر ما قبل الإسلام، فقد كان يقع فيه الشعراء، والخطباء، وغيرهم، وكان اللحن يُعد عيبا في مرتكبه[95]؛ لذا وجدنا الرسول الكريم (ﷺ) ينفي اللحن عن نفسه بقوله: ((أنا مِنْ قريش، ونشأت في بني سعد فأنَّى لي اللحن))[96]، ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أنَّ اللحن بمعنى الخطأ في الكلام كان معروفا في عهد الرسول(ﷺ)، وكان الخطباء، والبلغاء يتحاشوه، وينفرون منه.

وقد اتسع نطاق اللحن في العصر الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين بحيث وصل إلى قراءة القرآن، وقد كان من أسباب اتساعه ابتعاد العرب عن مواطن الفصاحة، واختلاطهم بغير العرب من الأقوام التي دخلت إلى الحاضرة الإسلامية بعد الفتوحات، وقد انتشرت نتيجة لذلك لغات متعددة أثرت في ألسنة العرب الذين يخالطونهم مما أدى إلى إضعاف السليقة العربية، واستفحال أمر اللحن بين المسلمين[97].

وكان التوحيدي قد تحدث عن اللحن كثيرا، وذكر فيه جملة من الشواهد، وحذر في نصوص كثيرة من كتاباته من الوقوع فيه، فهو كغيره من العلماء كان يعد اللحن عيبا في صاحبه، حتى وإنْ كانت الحكاية عن سفيه، أو

ناقص إذ يقول: ((ولا ينكر اللحن إذا كانت الحكاية عن سفيه أو ناقص))[98]، وقد شخَّص سبب انتشار اللحن، وفشوه بقوله: ((وإنما فشا اللحن للسبايا التي كثرت في الإسلام من الأعاجم وأولادهن، فإنهم نزعوا في اللكنة إلى الأخوال))[99]، وينقل عن السيرافي بقوله: ((سمعت السيرافي يقول، سمعت نفطويه يقول: لحن الكبراء النصب والجر، ولحن الأواسط الرفع، ولحن السفلة الكسر))[100]، فالتوحيدي هنا يشير إلى انتشار اللحن في جميع الأوساط، وعند مختلف فئات المجتمع في عصره، وفي هذا المجال يقول التوحيدي محذرا: ((فتوق لحن العامة، وأشباه العامة من الخاصة، وروض لسانك على الصواب))[101]، فكان اللحن في عصر أبي حيان مألوفا عن العامة، وهؤلاء هم الذين حرفوا اللغة، وظهر منهم الخطأ في أصواتها ومعانيها[102]، وقد تردد ذكر العامة في كتابات التوحيدي، ومن ذلك يقول: ((لا تؤاخذ العامة باللحن فإنَّ الصواب في المعنى، والإعراب في اللفظ))[103]، حتى بلغ الأمر مبلغا أضحى فيه من يتكلم بالإعراب، ولا يلحن، ويجري على السليقة عزيزا إذ يقول: ((ويمكن أن يقال بالمثل الأدنى: إنَّ من يتكلم بالإعراب، والصحة، ولا يلحن، ولا يُخطئ، ويجري على السليقة الحميدة، والضريبة السليمة، قليل أو عزيز، وإنَّ الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجية وهذا المنشأ إلى أنْ يتعلم النحو ويقف على أحكامه، ويجري على منهاجه، ويفي بشروطه في أسماء العرب وأفعالها وحروفها وموضوعاتها ومستعملاتها ومهملاتها[104].

وقد استعمل التوحيدي لفظ (ملحون) أي مخطوء للدلالة على الخطأ في الكلام والإعراب إذ يقول: ((ومن عبر عما في نفسه بلفظ ملحونٍ أو محرف أو موضوع غير موضعه وأفهم غيره، وبلغ به إرادته، وأبلغ غيره، فقد كفى))[105]، وإنَّ اشتقاق لفظ(ملحون) هنا قد تفرد به التوحيدي فلم يذكره أصحاب المعجمات العربية الذين تطرقوا إلى الحديث عن مادة (لحن)[106].

وقد ذكر التوحيدي بعض الأمثلة التي تشير إلى شيوع اللحن بين العامة، ومن ذلك يقول: ((وقف رجل حسن الشارة حلو الإشارة على المبرد، فسأله عن مسألة، وأطال، ولحن، وتسكع في الخطأ، فقال المبرد: يا هذا، ما أنصفتنا من نفسك: إما أنْ تلبس على قدر كلامك، وإما أنْ تتكلم على قدر لباسك! فعجب الناس من بديهته في هذه الحكمة الجامعة للزجر، الباعثة على القبول، المثيرة للائمة))[107]، ويقول أيضا: ((ومرّ عمر على رماة غرضٍ، فسمع أحدهم يقول لصاحبه: أخطيت وأسئيت، فقال عمر: مه! فسوء اللحن أشدّ من سوء الرّماية))[108]، ومن الأمثلة التي يذكرها التوحيدي أيضا في لحن العامة قوله: ((الصِّفر - بكسر الصاد - الخالي، والصُّفر - بالضم - معروف، والعامة تلحن))[109]، وقد كان بعض الأعراب إذا سمع كلام رجل من أهل القرى، لا يفهم منه شيئا؛ لأنَّه لم يختلط بأهل القرى، فيصعب عليه فهم بعص كلامهم وما يدور على ألسنتهم، ومن ذلك يذكر التوحيدي: ((قال رجل لأعرابي: كيف أهلك؟ فقال الأعرابي: صلباً، ظن أنه سأل عن هلكته كيف تكون، وإنما سأله عن أهله))[110].

ولم يقتصر التوحيدي على ذكر الأمثلة التي تشير إلى وقوع اللحن وانتشاره بين العامة، وإنما تطرق إلى ذكر الأمثلة التي تدل على وقوعه بين الخاصة من القضاة، والعلماء، والفصحاء، وغيرهم ومن ذلك يقول: ((تقدّمت امرأةٌ إلى قاضٍ فقال لها: جا معك شهودك كلّهم؟ فسكتت؛ فقال كاتبه: إنَّ القاضي يقول: هل جاء شهودك معك؟ قالت نعم؛ ثم قالت: ألا قلت كما قال كاتبك؟ كبر سنّك، وذهب عقلك، وعظمت لحيتك، فغطّت على عقلك؛ ما رأيت ميتاً يقضي بين الأحياء غيرك))[111]، ويقول: ((قال(ابن خلف) لمغنية كان يحبها، وأراد تجميشها:أنا والله لك مائق - أراد أنْ يقول: وامق - فقالت: ليس لي وحدي أنت مائق، أنت والله مائق للخلق))[112]، ويقول أيضا: ((وقالت بنت لأبي الأسود لأبيها: ما أطْيَبُ الرُّطَبْ؟ فقال:

جِنْسُ كذا، أرادت التعجب وذهب هو إلى الاستفهام))[113]، وكذا يقول: ((وأمَّ الحجاج قوماً فقرأ: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا)[114]، فقال في آخرها (أنَّ ربَّهم) - بالنصب - ثم تنبه على اللام في لخبير، وأنَّ (إنَّ) قبلها لا تكون إلا مكسورة، فحذف اللام فقال: خبير، فكان نقص الكلام أسهل عليه من اللحن))[115]، ومن ذلك أيضا ما ينقله عن أبي حامد إذ يقول: ((سمعت أبا حامد يقول: قرأ (عبد الله بن أحمد بن حنبل) في الصلاة: اقرأ باسم ربك الذي خُلِقَ، فقيل له: أنت وأبوك على طرفي نقيض، زعم أبوك أن القرآن ليس بمخلوق، وأنت تزعم أن الرب مخلوق))[116]، ويقول: ((حكي أنَّ ابن أبي حاتم الرازي قرأ: فصيام ثلاثة أيام في الحج وتسعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة،(فقيل:ما أقل بصرك بالحساب)))[117].

ونتيجة لفشو اللحن وشيوعه قوي النقد اللغوي، فقد وقف علماء العربية للحن بالمرصاد، وحاولوا الحد منه قدر الإمكان، فكان اللحن سببا مهما في تقوية النقد اللغوي عند العرب[118]، وقد كانت للتوحيدي مشاركة واضحة في هذا النقد إذ وردت في آثاره كثير من الآراء والملاحظات التي يبديها، فمنها ما يتعلق بكلام معاصريه خاصتهم وعامتهم، وما يقع فيه من لحن أو خطأ، ومنها ما يتعلق بجودة التعبير ورداءته أو ملاءمته لمعناه من عدمه[119]، ومن ذلك يقول: ((والأرض نَدِيَة، والريح شآمِيَة. توق تشديد ياء ندية وشآمية؛ ألا ترى أنك تقول: هذا ترابٌ نَدٍ، وروضٌ نَدٍ، ورجلٌ شآمٍ، وامرأةٌ شآمِيَةٌ))[120]، وقوله: ((وأما الشنيف، فالمبغض، ولا تقل المبغوض؛ لأنَّه لا يقال بغضه، هذا لفظ العامة وهو مردود عند البصراء بالأصول))[121].

وهناك اتجاه آخر من نقد أبي حيان يتمثل في دعوته النقاد، والعلماء، والفصحاء، وغيرهم إلى التريث قبل اتخاذ القرار، أو الحكم على صيغة، أو مفردة معينة من مفردات اللغة بالخطأ، أو عدم الملاءمة للمعنى الذي استعملت فيه إذ قد تكون هذه الصيغة أو المفردة التي يرفضها الناقد واردة

في كلام العرب، ومن ثَّم فإنَّ التسرع في الحكم يؤدي إلى حظر بعض المفردات والكلمات التي عرفها العرب، واستعملها فصحاؤهم[122]، وقد ذكر التوحيدي بعض الأمثلة في هذا المجال، ومن ذلك يقول عن الصاحب بن عباد: ((قال يوماً- أي الصاحب بن عباد-: (اطَّلع عليه)، ولا يجوز (إليه) ، والمعنى يقتضي عليه لا غير، فقال له (الضرير النحوي)[123]: فما نصنع بقوله عز وجل: (لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى)[124]؟ فبرد))[125]، ويروي كذلك عن الصاحب إذ يقول: ((وقال مرّة: (ضَرَّه وأضرَّ به)، ولا يجوز أضَرَّه، كذا لا يجوز ضرَّ به.

فقال له رجل من خُراسان: فما تقول في قوله عز وجلّ: (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)[126]؟ فقال للرجل: اخسأ! أ هذا من ذاك؟ وأخجل الرجل في صوابه، ولم يخجل هو من خطئه لسقوطه وجهله ومُكابرته وحسده))[127]، ومثل هذا كثير.

وعلى الرغم من الجهود الحثيثة التي بذلها النقاد والعلماء لكنهم لم يستطيعوا الصمود أمام موجة اللحن؛ لأنَّ اللغة دائمة التطور فـ((مهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أنْ تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل التي تريدها على السير فيها سنن التطور والارتقاء الطبيعيين))[128].

٣.العُجمة:

العُجمة بالضم: المتراكم من الرمل المشرف على ما حوله، والعَجماء التي لا تتكلم، وكل من لا يقدر على الكلام فهو أعْجَم ومُسْتَعجم، والأعْجَم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، أي هو الذي في لسانه حُبسة وإنْ كان عربيا، ورجل أعْجَم وأعْجَمي إذا كان في لسانه عُجْمة؛ اما العَجميّ، فهو من جنس العَجَم- خلاف العرب- أفصح أو لم يفصح[129].

والـعُـجـمـة فـي الاصـطـلاح: ((هـي كـون الكلمة من غير أوزان العرب))[130]، كالأسماء الأعجمية التي لا تنصرف وغيرها، وقد ذكرها التوحيدي بقوله: ((والعجمة: سوء الفهم))[131].

وقد وردت لفظة(العجمة) كثيرا في آثار التوحيدي، ولم تكن تخرج عن معنى العيب الخاص بالكلام واللسان، ومن ذلك يقول ذاكرا (العجمة) على أنَّها عيب من عيوب اللسان، وذلك في معرض حديثه عن أستاذه أبي سليمان إذ يقول: ((أما شيخنا أبو سليمان، فإنَّه أدقهم نظراً، وأقعرهم غوصاً، وأصفاهم فكراً، وأظفرهم بالدرر، وأوقفهم على الغرر؛ مع تقطع في العبارة، ولكنةٍ ناشئة من العجمة وقلة نظرٍ في الكتب، وفرط استبداد بالخاطر، وحسنٍ استنباط للعويص))[132]، ويقول أيضا: ((نعوذ بالله من العُجمة المخلوطة بالتّعريب، ومن العربية المخلوطة بالتعجيم))[133]، فالعجمة هنا تعني الكلام غير العربي، ويقول أيضا ذاكرا لفظة (العجمة) بمعنى الإبهام، وعدم الوضوح: ((ولم يزده الإعراب إلا عُجمة)) [١٣٤].

وقد وردت لفظة (العجمة) عند أبي حيان بالمعنى الاصطلاحي الخاص بأوزان اللغة العربية موضحا في ذلك أثرها في الصرف ومنع الصرف [١٣٥]إذ يقول: سئل الزجاج عن الجاموس؟ فقال اصرفه؛ لأنَّه جنس قال: ولم صرفته؟ قال: لأنَّ العرب أخرجته من العجمة بالألف واللام، فجرى مجرى أجناس العربية[١٣٦].

وأورد التوحيدي أيضا لفظ (أعجمي)، وقصد به الذي لا يفصح ولا يبين كلامه بسبب وجود عيب في لسانه إذ يقول: ((وليس الشأن على أنْ يفهم من أعجمي طمطمته فإنَّ ذلك المفهوم لم يكن عن تمام اللفظ وصحة التأليف))[١٣٧]، وكذلك يورد التوحيدي لفظ (أعجمي) على انه ليس من أوزان العربية أي لفظ غير عربي إذ يقول: سُئل الزجاج عن قابوس فقال: إذا جعلته أعجميا لم تصرفه وإنْ اشتققته من قولك قبسته نارا فهو فاعول صرفته(138).

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث الملخص عن جهود التوحيدي في البحث الصوتي أضع بين يدي القارئ أهم النتائج التي توصلت إليها وهي على النحو الأتي:

١. كشف لنا البحث عن جهود التوحيدي في مجال الصوت، فقد عرض للحديث عن موضوعات صوتية مختلفة بدءا بأهمية الصوت اللغوي، وحدوثه مرورا بأعضاء جهاز النطق، وطريقة أخراجها للحروف، وتطرق إلى دراسة مخارج الأصوات، ثم عرض إلى الأسباب التي تؤدي إلى عدم سلامة النطق ذاكرا في ذلك عيوب النطق.
٢. لقد ذهب التوحيدي إلى تشبيه الفم بآلة المزمار، وقد يكون صاحب السبق في هذا الوصف قبل ابن جني الذي ذهب إلى ذلك أيضا إذا ما علمنا بأنهما متعاصران مما يسهل اطلاع كل منهما على نتاج الأخر، والتأثر به.
٣. يذهب التوحيدي إلى الرأي القائل بأنَّ عدد حروف اللغة هي ثمانية وعشرون حرفا موافقا في ذلك المبرد، ومخالفا جملة من العلماء.
٤. لقد ارسي التوحيدي أسس نظرية النظم التي نضجت وتطورت فيما بعد على يد عبد القاهر الجرجاني، وذلك عندما تطرق إلى الحديث عن نظم الحروف بعضها في مفردات، ونظم المفردات بعضها إلى بعض في السياق.
٥. أشار التوحيدي إلى أنَّ كل حرف من حروف اللغة يكون له مطلع يختلف عن الأخر، وقد حصر هذه المطالع من أقصى الرئة إلى ادني الفم.
٦. ذكر التوحيدي جملة من عيوب النطق منها التمتمة والفأفاة، والعقلة، والحبسة، واللفف، وغيرها، ثم اخذ بالحديث عن اللحن ووقوعه في الكلام معيبا ذلك على مرتكبه، فوجدناه في بعض المواضع من آثاره يرد على الخاصة والعامة ممن وقعوا فيه وهو أمر يدل على معرفة التوحيدي بمفردات اللغة ودقائقها.

Abstract

It was the ancient scientists are fully aware and knowledgeable high science of votes it that we find in many of

their works and signals can be aware hints here and stuck there indicate a clear indication of their awareness of the importance of language sounds. Among these scientists Abu Hayyan monotheistic who revealed to us some raised his knowledge with sound linguistic spoke about the sound of language and its importance and its formation and its transmission through the analogy of mouth machine oboe and the statement of the different sounds according to their positions, which issued them also moved elsewhere to talk about the votes of Arab and statement number Accordingly, we will reveal this search for these efforts cited by unifying voice in different positions from its effects.

هوامش البحث

١. البيان والتبيين، الجاحظ(ت٢٢٥هـ) : ٧٩/١ .
٢. في البحث الصوتي عند العرب، خليل ابراهيم العطية: ٦.
٣. اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان: ٦٦.
٤. أصوات اللغة ، د.عبد الرحمن أيوب: ٢١.
٥. ظ: العين، الخليل بن احمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ):٣٤/١ وما بعدها، والمدارس النحوية، خديجة الحديثي: ٤٦- ٤٧.
٦. ظ: كتاب سيبويه، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت ١٨٠هـ)،:٤٣١/٤ وما بعدها.
٧. ظ: المقتضب، المبرد(٢٨٥هـ): ١/ ٣٢٨ وما بعدها.
٨. ظ: الأصول في النحو، ابن السراج(ت٣١٦هـ): ٣٩٩/٣ وما بعدها.
٩. ظ: جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن دريد(ت٣٢١هـ): ٤١وما بعدها.
١٠. ظ: الجمل في النحو، أبو القاسم الزجاجي: ٤٠٩- ٤١١.
١١. ظ: تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري(ت٣٧٠هـ): ٤٤/١.
١٢. ظ: سر صناعة الإعراب، ابن جني(٣٩٢هـ): ٦/١ وما بعدها.
١٣. الهوامل والشوامل، ابو حيان التوحيدي ومسكويه: ٢١
١٤. المقابسات ابو حيان التوحيدي(ت٤١٤هـ): ٣١٠.
١٥. م.ن: ٢١.
١٦. م.ن: ٢٢.
١٧. الهوامل والشوامل : ٢٢.

١٨. ظ: أبو حيان التوحيدي لغويا، نعمة رحيم العزاوي: ٣٣.
١٩. سر صناعة الإعراب، ابن جني: ٨/١.
٢٠. م.ن: ٩/١.
٢١. أبو حيان التوحيدي لغويا: ٣٥.
٢٢. سر صناعة الإعراب: ٨/١.
٢٣. ظ: العين : ٣٧/١، و كتاب سيبويه: ٤٣٣/٤، وسر صناعة الإعراب: ٧/١.
٢٤. الهوامل والشوامل: ٢١.
٢٥. ظ: العين: ٤١/١، وكتاب سيبويه: ٤٣١/٤، والأصول في النحو: ٣٩٩/٣.
٢٦. الهوامل والشوامل: ٧.
٢٧. م.ن: ٢٠.
٢٨. م.ن: ٢١.
٢٩. المقتضب: ٣٢٨.
٣٠. أبو حيان التوحيدي لغويا: ٣٥.
٣١. الهوامل والشوامل: ٢٠.
٣٢. م.ن: ٢٢.
٣٣. م.ن: ٢١.
٣٤. م.ن: ٢٣.
٣٥. م.ن: ٢٣.
٣٦. م.ن: ٢٣.
٣٧. ظ: النقد اللغوي عند العرب، نعمة رحيم العزاوي: ٥٠، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ): ٤ وما بعدها.
٣٨. في البحث الصوتي عند العرب: ٩٢.
٣٩. ظ: م.ن: ٩٣.
٤٠. البيان والتبيين: ٣٦/١، وظ: في البحث الصوتي عند العرب: ٩٤.
٤١. ظ: الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرد: ٧٦١/٢ وما بعدها.
٤٢. ظ: في البحث الصوتي عند العرب: ٩٧.
٤٣. ظ:المخصص، ابن سيده(٤٥٨هـ): ١١٢/٢وما بعدها.
٤٤. ظ: الإمتاع والمؤانسة، ابو حيان التوحيدي: ١٢٢/١.
٤٥. ظ: الهوامل والشوامل: ٣١١.
٤٦. ظ: أخلاق الوزيرين، ابو حيان التوحيدي: ٣٢٧.
٤٧. ظ:الإمتاع والمؤانسة: ١٤٧/١.

٤٨. ظ: أخلاق الوزيرين: ٧٠.
٤٩. ظ:الهوامل والشوامل: ١٣٥.
٥٠. ظ: البصائر والذخائر، ابو حيان التوحيدي: ٥٩/٦.
٥١. ظ: م.ن: ١٢١/٥.
٥٢. ظ: م.ن: ١٠/٣.
٥٣. ظ: جمهرة اللغة: ١٧٩/١، مادة (تمتم) .
٥٤. البصائر والذخائر: ٥٩/٦، وظ: الكامل في اللغة والأدب: ٧٦١/٢.
٥٥. ظ: البيان والتبيين: ٣٧/١، ٣٨، ٣٩، ٦٩.
٥٦. المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح المطرّزي(ت٦١٠هـ): ١٢١/٢.
٥٧. البصائر والذخائر: ٥٩/٦، وظ: الكامل في اللغة والأدب: ٧٦١/٢.
٥٨. البيان والتبيين: ٣٩/١.
٥٩. الكامل في اللغة والأدب: ٧٦١/٢.
٦٠. ظ: البصائر والذخائر:٥٩/٦.
٦١. البيان والتبيين: ٣٩/١.
٦٢. البصائر والذخائر: ٥٩/٦، وظ: الكامل في اللغة والأدب: ٧٦١/٢.
٦٣. المعجم الوسيط: ١٥٢.
٦٤. هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفي – ابن عم جرير بن الخطفي الشاعر- وقد عمَّرَ أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، ظ:(الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) : ٦٨٨/٢).
٦٥. البيان والتبيين: ٣٨/١.
٦٦. البصائر والذخائر: ٥٩/٦، وظ: الكامل في اللغة والأدب: ٧٦٢/٢.
٦٧. م.ن:١٢٢/٥.
٦٨. الكامل في اللغة والأدب:٧٦٢/٢ .
٦٩. المخصص: ١١٨/٢.
٧٠. البصائر والذخائر: ٥٩/٦.
٧١. ظ: البيان والتبيين: ٣٤/١.
٧٢. ظ: م.ن: ٤٠/١.
٧٣. البصائر والذخائر: ٥٩/٦، وظ: الكامل في اللغة والأدب: ٧٦٢/٢.
٧٤. لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ): ٤٤٨٩/٥٠، مادة (نغغ).
٧٥. البصائر والذخائر: ١٢١/٥.
٧٦. م.ن: ١٠/٣.

٧٧. المغرب في ترتيب المعرب: ٢٥٠/٢، مادة(لوث).
٧٨. لسان العرب: ٤٠٩٣/٤٥، مادة (لوث).
٧٩. تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي(ت١٢٠٥هـ): ١٠/ ٤٤٥، مادة(جعظر).
٨٠. البيان والتبيين: ٤٠/١.
٨١. هو زياد بن سلمى ويقال زياد بن جابر بن عمرو بن عامر من عبد قيس وكان في لسانه لكنة؛ لذا سمي الأعجم، ظ: (الشعر والشعراء: ٣٤٠/١).
٨٢. ظ: البيان والتبيين: ٧١/١.
٨٣. الكامل في اللغة والأدب: ٧٦٢/٢.
٨٤. ظ:البصائر والذخائر: ٥٩/٦.
٨٥. الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدي: ١١٨.
٨٦. م.ن: ١٨.
٨٧. البصائر والذخائر: ١٨١/١.
٨٨. ظ: المخصص: ١١٧/٢.
٨٩. الإشارات الإلهية:٤٠.
٩٠. م.ن:٢٠٠.
٩١. المقابسات:١٥٢.
٩٢. لحن العامة والتطور اللغوي، د.رمضان عبد التواب: ١٣.
٩٣. المقابسات:١٧٢.
٩٤. لسان العرب: ٤٠١٤/٤٥، مادة(لحن)
٩٥. ظ: دروس في المذاهب النحوية، عبد الكاظم محسن الياسري: ٢٧.
٩٦. المزهر، السيوطي(ت٩١١هـ): ٣٩٧/٢، ولم أجده في كتب الحديث.
٩٧. ظ: المدارس النحوية (الحديثي): ٥٠، ودروس في المذاهب النحوية: ٢٨.
٩٨. البصائر والذخائر: ١١١/١.
٩٩. م.ن: ١٨١/١.
١٠٠.م.ن: ٢١٨/٦.
١٠١. م.ن: ٥٩/١.
١٠٢. ظ: ألفاظ الحياة الثقافية، طيبة صالح الشذر: ٣٦٢.
١٠٣. البصائر والذخائر: ٥١/٩.
١٠٤. الإمتاع والمؤانسة: ١٠٦/١.
١٠٥. م.ن: ١٠٢/١.
١٠٦. ظ: ألفاظ الحياة الثقافية: ٣٦٣.

١٠٧. البصائر والذخائر: ٨٢/١.
١٠٨. م.ن: ٩٠/٨
١٠٩. م.ن: ٢٨٥/٧.
١١١. م.ن: ٦٧/٦.
١١٢. م.ن: ٦٤/٧.
١١٣. م.ن: ٧٠/٤.
١١٤. م.ن: ٦٧/٦.
١١٥. العاديات:١.
١١٦. البصائر والذخائر: ٦٧/٦.
١١٧. م.ن: ٥٨/٦.
١١٨. م.ن: ٥٨/٦.
١١٩. النقد اللغوي عند العرب: ٦٠.
١٢٠. ظ: أبو حيان التوحيدي لغويا: ٩٦.
١٢١. البصائر والذخائر: ٦٣/١.
١٢٢. م.ن: ١١٨/٥.
١٢٣. ظ: النقد اللغوي عند العرب: ٣٦١ وما بعدها.
١٢٤. هو أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني الضرير النحوي كان عالما متمرسا بالنحو وتلمذ على ابن جني وشرح كتابه(اللمع) شرحا كافيا فكان نحويا فاضلا يقرئ الناس بالكرخ ببغداد توفي سنة ٤٤٢هـ، (ظ: وفيات الأعيان، ابن خلكان(ت٦٨١هـ): ٤٤٣/٣).
١٢٥. القصص: من الآية: ٣٨.
١٢٦. أخلاق الوزيرين: ٢٦٢.
١٢٧. البقرة: من الآية: ١٠٢.
١٢٨. أخلاق الوزيرين: ٢٧٨.
١٢٩. اللغة والمجتمع، د.عبد الواحد وافي: ٧٧.
١٣٠. التعريفات،علي بن محمد الجرجاني: ٣٥.
١٣١. النحو الوافي، عباس حسن: ٧٤/١.
١٣٢. ثمرات العلوم أبو حيان التوحيدي: ٢٤.
١٣٣. ظ: أبحاث في العربية الفصحى، د.غانم قدوري: ٥١، ودراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح:١١٨.
١٣٤. الحاقة: ٣٧.

١٣٥. يس: ٧٦.
١٣٦. التوبة:من الآية: ٣.
١٣٧. البصائر والذخائر: ١٨٠/١.
١٣٨. م.ن: ٦٧/٦.

قائمة المصادر والمراجع

* القران الكريم

- أبحاث في العربية الفصحى، د.غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- أبو حيان التوحيدي لغوياً، د.نعمة رحيم العزاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد- الاعظمية، ط١، ٢٠٠٤م.
- أخلاق الوزيرين (مثالب الوزيرين الصاحب بن عباد وابن العميد)، أبو حيان التوحيدي(ت٤١٢هـ)، حققه وعلق حواشيه:د.محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت_لبنان،(د.ط)، ١٤١٢هـ_١٩٩٢م.
- الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدي، تح: د.وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- أصوات اللغة، د.عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، ط٢، ١٩٦٨م.
- الأصول في النحو، أبو بكر ابن السراج(ت٣١٦هـ)، ت: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ، ط٣، (د.ت).
- ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، د.طيبة صالح الشذر، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة_مصر، (د.ط)، ١٤٠٩هـ _١٩٨٩م.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، صححه وضبطه وشرح غريبه: احمد أمين واحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر_القاهرة، ط٢،(د.ت).
- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تح: وداد القاضي، دار صادر بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ_١٩٨٨.
- البيان والتبيين، أبو عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٢٥هـ)، تح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتأليف، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)،تح: د. ضاحي عبد الباقي، مراجعة: عبد اللطيف محمد الخطيب، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني(ت٨١٦هـ)، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، اعتنى به: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة،(د.ط)، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
- ثمرات العلوم، أبو حيان التوحيدي، شرح وتعليق وتحقيق: د.أنور محمد زناتي ود.محمد غالب بركات، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية _دمشق، (د.ط)،١٤٣٠هـ_٢٠٠٩م.
- الجمل في النحو، أبو القاسم الزجاجي(ت٣٣٧هـ)، حققه وقدم له: د.علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر بن دريد(ت٣٢١هـ)، حققه وقدم له: د.رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- دروس في المذاهب النحوية، د.عبد الكاظم محسن الياسري، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ط١، ٢٠٠٨م.
- دلائل الإعجاز، الشيخ عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧٤هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان ابن جني(ت٣٩٢هـ)، دراسة وتحقيق: د.حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.
- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- في البحث الصوتي عند العرب، د.خليل إبراهيم العطية، دار الجاحظ للنشر، بغداد، (د.ط)، ١٩٨٣م.
- الكامل في اللغة والأدب، الإمام أبو العباس المبرد(ت٢٨٥هـ)، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: د.محمد احمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٢م.
- كتاب سيبويه؛ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح : عبد السّلام هارون ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- لحن العامة والتطور اللغوي، د.رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

- لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر احمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، (د.ط)، ١٩٩٤م.
- اللغة والمجتمع، د.علي عبد الواحد وافي، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- المخصص، ابن سيده(٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- المدارس النحوية، د.خديجة الحديثي، مطبعة دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد- الأردن، ط٣، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث العربي، القاهرة، ط٣، (د.ت).
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة دار الشروق، ط٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- المغرب في ترتيب المعرب،الإمام أبو الفتح المطرّزي(ت٦١٠هـ)، تح: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب- سورية، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- المقابسات، أبو حيان التوحيدي، تح:حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية بمصر، ط١، ١٣٤٧هـ-_١٩٢٩م.
- المقتضب، أبو العباس المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٤م.
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، د.نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية للطباعة، بغداد،(د.ط)، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
- الهوامل والشوامل، أبو حيان التوحيدي ومسكويه، تقديم:د. صلاح رسلان، نشره: احمد أمين والسيد احمد الصقر،شركة الأمل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،(د.ط)، ٢٠٠٩م.
- وفيات الأعيان: ابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تح: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت_لبنان،١٤١٤هـ_١٩٩٤م.